

دلدل وقصواء



عبدالباقي المغربي

عناوين القصص

- ٣ درس جديد -
- ٤ درس قديم -
- ٥ الطائر الأبيض -
- ٦ كتكوت ابن الحمامة -
- ٨ عدنا لعشنا -
- ١٣ دليل وقصواء -
- ١٦ ثلاث أرنيات -
- ١٨ مزاد الشعوب -
- ٢١ خمس أوزات -
- ٢٤ شقاوة صغار -
- ٢٥ نازل النخلة -
- ٣١ جعران الحظ -
- ٣٣ كلب أصيل -
- ٣٥ شجر الروح -
- ٣٦ هرة أبو هريرة -
- ٣٨ السلوعة -
- ٤٠ حصّاد القمح -

درس جديد

من بعد العصر- بقليل اغيّمت السماء ولكن ليس بسحب المطر ،، وإنما من عشرات الغربان الذين ينهقون ؟؟! يلتفون حلقا حول بيت أحدهم ، لماذا أتوا ، وفيما نواحهم ؟ هل هي إشارة لموت أحد من أهل الدار كما تعلم الناس من ظن السابقين ، خرج بعضهم يستطلعون أمرهم ، ووجدوا أخاهم بين سلكى عمود الإنارة أمام البيت مقلوبا وما انفك تسري في جسده المتصلب الكهرباء ، الشرارات تتطاير بين جناحيه المتصارعتين الضاربتين بلا جدوى نعيقه يسد الآذان يتسابقون للمرور بين السلكين محاولين خطف أخيهم أو إخراجه يتناوبون في تسلسل غير اعتيادى يرقون بين الأسلاك ضاربي أجنحتهم فى جناحه ثم يرتفعون لأعلى السماء ويعودون من المقدمة يكررون الكرة مرة ومرة وكلما أحس بهم رعشت أوصاله يحاول الفكك فقد وضع قدميه على السلكين معا فى جزءين مكشوفين فصار موصلا بينهما فأخذه تيار الكهرباء ثم برهات سكنت فيها جناحى أخيهم فيتعلقون سماويا فوق أخيهم ، النوح والنحيق وغيم السماء يطبق القرية ثم فجأة من كل حذب وصوب تتجمع الوفود عشرات عشرات بل ظنوا أنهم ألوف يلتفون حلقا حول الآخرين حتى هدأت الشرارات بين جناحيه فيذهب إليه بعضهم واحدا واحدا ويعودون لهم ...حتى توقفت حركته تماما ويسقط فجأة بعد أن ضربه أحدهم بجناحه فأتى آخرين كأنهما كانا متحفزين فتلقفاه قبل أن يصل الأرض ، فنعتت الغربان نعقة مختلفة وكأنها زغرودة الفرحة تهز عنان السماء وطارا به ، وتجيشت الصفوف خلفها رتبا رتبا -ورويدا رويدا- انفكت غيوم السماء .

كم عجيب أمر هذا الطائر الأسود!؟، كل البشر- تتأفف وتتشائم منه ؟ وهو المعلم الأول لنا رابطة الأخوة بينهم أقدس من أى شئ ، فلا أخ يغدر بأخاه . فسبحان الله -الذى علم هذا وخلقه ليعلمنا قيمة الأخوة كم عظيم أنت أيها الطائر الأسود "غراب البين" .

درس قديم

عندما أخطىء قاييل بقتل أخيه هاييل حسدا له وطمعا فيما له وتباكى بجوار جسده، بعث الله غرابين يتشاجران و تعاركا على لا شيء ،ربما حبة أو جيفة فقتل أحدهم أخاه فأخذ القاتل يقلبه على جناحيه وبطنه ،فلما وجدته مات نظر إليه بندم وحسرة ،وأعاد ضربه بجناحيه لعله يفيق فما قام ،فلما تيقن من موته نفخ حوصلته وأخذ ينعق عليه ويصيح هنا وهناك ،والتهبت عيناه إحمرارا حزنا على أخيه ثم عاد إليه بطيئا بطيئا مطأطأ الرأس ،ثم ابتعد و تحنجل حوله حتى وصل لبقعة من الأرض فحفرها وراح إليه كسير الظهر كسيف الوجه مرقداً جناحيه في ثرى الأرض .. جذبه بقدمه وجناحيه وتارة دافعا له بظهر منقاره ،والدموع تغرق الأرض فأرقده الحفرة ثم شهق ونعق وردم عليه التراب .. فلما انتهى استوقف نفسه وناح ونعق طويلا ونظر للسماء، وكثر نعيقه فلا يعلم وقتها أكان يبكي أخاه أم يستغفر ربه من ذنبه؟ وربما كان له صوت من أجمل الأصوات فلما غدر بأخيه صار نعيقا فوق جثته؟؟ ثم طار وتركه . وتعلم قاييل قاتل أخيه هاييل وقال في نفسه "أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري جثة أخي" فحفر قبر أخيه وسجّاه ثم بكاه .

الطائر الأبيض

تحت شجرة السنط التي كان الأولاد يلعبون ويلهون عندها ومن وسط جمعهم أسقطوا ابنهم، فلما سقط على الأرض تقاذفوه بأيديهم وركلوه بأقدامهم نتفوا جناحيه فخرج منه أنين مكتوم، وهم ظلوا بأعشاشهم يتناظرون إليهم، وقام الأولاد بربطه بجبل، ولكن أحدا منهم لم يتحرك غريب أمر هذا الطائر، شكله أبيض يكاد يكون ناصع البياض، كيف يكون صديقا للفلاح يخلصه من دود الأرض، وهو لا يدافع عن ابنه، أليسوا بأهل، صار الأطفال يتوجسون بين الفينة والأخرى أن ينقضوا عليهم، ولكنهم يتناومون بأعشاشهم، حتى مات من فرط لعبهم به ... قتلوه! وسحلوه، فلما مات رموه، وتسابقوا لإسقاط آخر، رموه بالنبل والحجارة، فانكسر - بيضهم، حتى أصفرت وأحمرت الأرض، أسقطوا ثانيا وثالثا وثلاثا، وتحت شجرة السنط رصوهم هدموا بعض أعشاشهم، فتفرقوا صعودا لأعلى الشجرة، ولم يتخذوا موقفا، انتهى النهار وذهب الأولاد لبيوتهم، وعادوا اليوم التالي فوجدوا فراخهم قد ماتت تحت الشجرة، ووصار الأولاد كل يوم يفعلون فعلتهم فتزداد الأكوام حتى كرهوا السنطة وما بها وما عليها، وكان كل يوم يأتيهم رجلا ينهرهم عن فعلهم، فيختبئون عنه ويعودون بعد ذهابه ويكررونها، فقد كانوا كثيرا كثيرا يكاد عددهم على سنطة واحدة يفوق كل الطيور على بقية الأشجار، وبعكسهم كانت دوما أخوة الطائر الأسود تدفع الناس للإعجاب بهم فحقيقة تعلمها البشر - "أن كثرة العدد ليس هو الأمن، وإنما نفع الأخوة ودفاعهم عن بعضهم أحياء وأمواتا وإن قل عددهم فهو الأمان".

كتكوت ابن الحمامة

فى حضان الحمامة ارتقى أحد الديوك الصغار ، بمجرد هبوطها على الأرض تلتقط حبا منشورا لهم من ربة البيت، تنقره لتبعده فيحتضنها أكثر وأكثر محاولا الإحتماء تحت جناحيها ، تهدأ له وتحاول الإبتعاد تطير وتهبط بعيدا عنه، ولكنه ما يتركها تلامس الأرض حتى يرتقى إليها تتقافز مبتعدة ، وهو ما يبرح خلفها تترك الحب لتعود أدراجها ، ينكسر- هو إلى أقرانه أبناء الدجاجات ووسط الأوز والبط ، وما إن تلمحه أمهاتهم وترقبه فتهجم عليه ضربا بجناحيها ومناقيرها ، فلا يستطيع المكوث بينهم فيلتقط الحب وحيدا .

وتهبط الحمامة وسطهم فيفزعونها إلا هو ، دائما تحت جناحها يحاول المكوث وتظنه منهم ولكنها تحنّ له ، بينما حجمه الذى يضاهى ضعف حجمها يمنعها من احتضانه يوما فيوما تتكرر الأعجوبة وإجابة بلاسؤال ربة البيت تقول سبحان الله- بيحنّ لأمه وتظهر الأعجوبة بعدما سألت ، بأن هناك دجاجة رفضت الرقود على بيضاتها ، فأخذتهم ووضعهم خلصة بجوار إحدى بنات الأوز التى احتضنتهم كأنهم منها ، ولكنها ما إن شعرت بيد تعبت بهم حتى هاجت وماجت فما استطاع أحد الإقتراب من مرقد بيضها بعد ذلك ، وأخرجت تلك البيضة التى لامست يد المتطفلة ، وبقيت وحيدة وما استطاعت سيدة البيت أن تعاود المحاولة ، وخافت على البيضة فوضعتها فى عش حمامة ترقد فوق بيضتها فبعدت عنهم قليلا ، ثم عادت لهم وما هى إلا لحظات حتى حاورتها بجناحيها وجانبى منقارها مثل بيضتها ، ولكنها كانت أكبر... وظنت أنها ستلقها ولكنها ضمت خصرها وفردت جناحيها حتى استوعبتها بدفئها وحنانها ، وذات صباح يوم وجدت الأم بالعش فرخان وبيضة فصارا بجوارها وهى راقدة على تلك البيضة وتسارعت بضعة أيام حتى نفقت عن كتكوت أصفر فأخذ من عشاها ، وأعيد بين أقرانه الذين خرجوا

قبله ببضعة أيام ،وكانوا قد وضعوا تحت طيور أخرى،وما الرابط بينهم كأخوة سوى نطفة ...فلما لاحظتهما بعد ذلك،ووجدت جمعا من الحمامات تهبط وتعلوا ،ولا يعيرها اهتمام ،حتى تنزل هي فينجذب إليها فرحا بها، ومهما ابتعدت خطاها صار خلفها حتى تطردها أخصامها من الدجاجات ،فلم شبّ وكبر صار ديكا زعيما للحظيرة ، أخذ يروح إليها عند نزولها تحضنه فيحضنها بجناحيه العملاقين،تلتقط الحب بروية ،وما عاد يجرؤ أحد لها اقترابا فهو وقتئذ برغم عرفه الصغير سيد طيور البيت،وهي أم السيد ما ولدته ولكنها بدفتها وقلبها رعته وربته..."فسبحان الله ..ليست الأم من ولدت ...وإنما الأم من ربت ورعت ".

عدنا لعشنا

أتى فجرا شقيق الأم طاردا لها وأبنائها من بيت جدهم "أيها" يادعاء أنه ليس لهم حق البقاء أكثر من ذلك ، فقد تفضلوا عليهم بإقامتهم أربعة أشهر داخله ، وقد بنوا بيتهم بعدما تهدم والآن عليهم الرحيل عن إرثهم ، فأيقظت الأخت أخيها وأخبرته الخبر ، وفوجئوا بالخال يلعن ويسب أخته بعدما رجته الانتظار أسبوعا أخيرا ، ريثما يتم تركيب بابا حديديا لبيت زوجها ، فرفض قاذفا حاجياتها خارجا ومتها لهم بأنهم نجسوا بيتهم ، فقرر الأخ من فوره حمل كل أغراضهم والرحيل ، وظل من قبيل شروق الشمس حتى مغربها ، يحمل على كتفيه غلالهم وطيورهم وأمتعتهم التي كانت مستودعة أسفل سلم البيت ، والأم تبكى وتلطم على حرمانها من حق إرثها في بيت والديها ، وتدعو ابنها لتناول فطاره وغذائه ، فلم يستطع إلا أن يرتشف كوبا من الشاي بكسرة خبز ، وأكمل مهمته ، وحمل أمتعة بيتهم الكثيرة وما تبقى من غرفهم ومناضدهم وكتب أخوته المدرسية التي كانت مكومة بشكل عشوائي بغرفة عتيقة أسسها جدهم والد أبيهم كديوان ضيافة أول مدخل بيوتهم المتجمعة حول بعضها ، وشعر بوجعا مؤلما أخفاه طيلة خمسة أشهر ، نَقَب فيها عن حاجياتهم أسفل الرديم واستخرجها ، ثم أزال ركام الهدم لبيت من أربعة أدوار وكان أول بيت يبنى بالطوب الأحمر من سبعين عاما في قريتهم ، ثم حفروا قواعد الجديدة وصبّوا قواعد ثم رقاب الأعمدة ، وانتصبت قوائم البيت كما كان ، وبنوا حوائطه وقسموا غرفه ، وصبّ سقفه ، ولكن قبل أن يحف أتاهم الطاردين اللاعنين ، فأزال بعضا من طفش الأخشاب وبقايا البناء ، وفوق المسامير الصدئة المتناثرة فرشوا أمتعتهم ليناموا أول ليلة ببيتهم الجديد ، أسفل عروق الخشب حاملة السقف ومن قابس كهرباء واحدة مدّ ثلاثة مشتركات متتاليات من أسلاك الإضاءة وألحق بها مصابيح أشعت في زهوة بيتهم شعاعا فقدوه لما انهدم ، فلما جنّ منتصف الليل وأكمل مهمته صعد لأعلى السطح ، وارتمي فوق حمل الرمل فشعر ببرودة ودفء آنيان معا لم

يألفهما في حياته ،برودة الرمل النادى ودفء بيتهما ، فما مرت لحظات فاستغرق في نوم فقدته من نصف عام ،وشعر بوخذه في قدمه، فإذا الأم تيقظه جالبة له عشائه ،بعدهما رفضه سابقا لعدم قدرته على البلع وأمرهم بالعشاء ،وأقي لهم بما يلزم من مأكولات سريعة الإعداد ،فلما انتهوا ما طأوعها قلبها أن تتركه بلا طعام ،وأعطته صينية العشاء و"كفرتة" ليلتحف بها ،فالليل بارد فوق السطح ،رغم أنهم في أول الصيف ،فتمني عليها أن تستريح ولا تهتم لأمره، وأن تنسى- كل شيء فهاهم أبناءها حولها ومعها ،فتناول بضعة لقيات كي لا يكسر- خاطرها ،رغم أنه لا يستطيع إدخال شيء في جوفه من شدة التعب ،وجلست هي على بسطة أعلى السلم تحدثه عن كيفما بنيت هذه البيوت المتداخلة منذ مائة عام كما أخبرتها أمها ،وعمتها والدة زوجها، وما عاشته في صباها وأنه صار شبيها لأحدهم ممن تحمل عبء هذه العائلة لتستقر بمقرها الحالى ،ثم أخذ كوب الشاي الذى أحضرته مع العشاء ،وارتشف منه قليلا ووجد نفسه نائما فوضعه بجانبه وأصابه حول الكوب واستغرق في سبات الليل نوما ،حتى وجد شيئا يتمسح به من أسفل قدميه حتى خديه، فتدفئت به قدميه وهو يشعر ببرودة السحر وحاول أن يصل للغطاء بجانب قدميه ،فما استطاع أن يمد يدا إليه ،ووجد سائلا يتدفق على وجهه، فاسترع أن تكون إحدى الهوام المندسة أسفل الرمل قد خرجت فما قدر إلا أن يرفع رأسه ،وفتح نصف عينيه، فوجد قططهم قد عادوا بعد أن ارتحلوا قبيل سقوط الدار فإذا به يجدهم يهلّون واحدة وراء أخرى يتلمسون جوانب البيت ويشتمون رائحته وها هي أهمهم الكبرى يراها تجلب أبناءها الجدد من منازل قريبة لتدسهم في بيتها وأخذ يرقبهم طيلة السحر وهي تذهب وتجيء وتتمسح به حيناً ،كأنها تهناه وتشكره على عودتهم ،وغلبه النوم ثانية فنام، حتى هاجه صوت صراخ وجلبة ،فلما استيقظ وجد الشمس حارقة ومازالت الأصدااء تتعال ،ويسمع أمه ترحب بهم وتهنئهم بالعودة وهم يحتفلون بالرقص والصراخ فراح يستطلعهم ،

وزحف قليلا على بساط الرمل حتى اعتدل واقفا فنزل قليلا درجات السلم ،ورآها تستلم طيورها ودواجنها التي فرت إلى الجيران ،وقد أعادوهم إليها ،بل كأنهم هم عادوا بأنفسهم بعدما تبلغوا بالخبر من قسط البيت ،وتثائب فرحا ،فإذا الحمام تتحلق حول دارهم طرية ،تضرب بأجنحتها الهواء وتدور حول بعضها تتجاذب نفسها فوق مكامن أعشاشها القديمة ،وهاهي الإوزات تفرد أجنحتها الكبيرة بطولها وعرضها تصرخ من شدة الفرح وتتطاير في الأماكن داخل الدار ،والدجاجات تبحث عن مراقدها وتنشئء بعضها فوق الرمل على عجل وكأنها تحن للبيت ،وكل واحدة ترغب أن تضع مولودها أولا في الدار الجديدة ،وتستلم الأم آخر حصة من بيضهم الذي بقى ثلاثة أيام مخترن عن الجيران ،الذين سارعوا بطلب مساحتها على عدم القدرة على حصر- بيض دجاجاتها من دجاجاتهم ،والأم تشكرهم جزيل الشكر ،فقد أمدوهم بالبيض عدة أشهر أكثر مما قد تكون قد أنتجته دجاجاتها القليلة ،وأفاق واشتهى الأكل والصلاة ،فسئل عن الصلوات فأخبر أن العصر- قد اقترب ،وطلب الأكل ،فأسرعوا بسلق بيض مما أعيد إليهم ،ريثما يذبحون أحد الديوك له ، وإن كانت الأم عنقت نفسها على أنها فكرت أن تجعل اللحم على فته فطير يلزمه الكثير من تقالى البصل ،وهي من دلائل السرور البالغ والفرح العظيم ،وهو ما لا يجب أن يكون فإنهم قد فقدوا عمهم شقيق زوجها بموته المفاجيء بعيد شهر من انهدام الدار خوفا وحزنا عليهم ، فقد أشاعوا عنده - وكان يسكن بأطراف البلدة- أن أمه وأخيه وأبناءه، قد اندفنوا تحت البيت المنهدم فجاء مسرعا باحثا عنهم وسط الركام، وهذا قليلا لما تلقاه ابن أخيه، وأفرحه بأنهم ما زالوا أحياء ،وتساءل عن أمه فأوصله لها، وهي تبكى وتنوح على بيتها وبيت زوجها الذي ما خرجت منه مرغمة منذ دخلته قبل ستين عاما، فأخذهم جميعا لبيته ،وتركوا دارهم المنهدم ،حتى عادوا إليه بعد ستة أشهر ،كانت قد وافته منيته إثر أزمة قلبية سببتها الحادثة قبيل أربعة أشهر ،ولذلك يجب أن يبقى فرحم داخل

حزنهم، وبعد صلاة العشاء أتاهم أول المهنتين تبعه أحدهم حاملا رسالة تأنيب خاصة للإبن من جدته، أن تركها ونسيها بلا سؤال منذ يومين، وهى التى بقيت بدار عمه، وكانت تشعر بحرق الجميع على قدر الله أنها هى التى عاشت وابنها الشاب قد رحل، وتمنت كل يوم أن كانت دفنت تحت البيت ولا يموت ابنها الأوسط، وما كان يؤنسها إلا ذهاب حفيدها إليها آخر الليل يطمئن عليها، ويعدها كل ليلة أن يأخذها معهم أول يوم يعودون فيه لدارهم، وهاهو قد انقطع عنها مدة ثلاث ليال منذ انشغل بنقل حاجياتهم، بعدما طردهم الأخوال من بيت أبيهم الملاصق لدار جدهم، فذهب إليها مسرعا من ليلته. وقدميه لا ترفعانه من شدة التعب وجروح الأخشاب والمسامير بها، ووجدها تبكى بدموع لم يألّفها وتنوح أن نسيها، وتركها الموت قابضة بمفردها تبكى نفسها وابنها، فلما شعرت به، وكان نظرها قد ضعف وضاع أكثر من بعد انهدام البيت ووفاة ابنها، فإنّها ظلت ستة أشهر بمفردها تبكى الأيام الخوالى مع زوجها، وهى التى أسست البيت وملئته بالحياة والأبناء والأحفاد، فأخذته بين كفيها وحضنته، تعاتبه أن تركها وأخلف وعده، وكادت أن تتناقل على قدميها الخائرتين لتعود معه الآن، فأرجئها حتى الغد فلا يجب أن تعود إلا فى ضوء النهار وأتاها عصر اليوم التالى وحملها إلى دارها فى شكله الجديد، وسعدت به معهم وأخذوا يصفونه لها جزءا جزءا، وتحلقوا حولها يستمعون كيف بنيت هذه الدار أول مرة منذ سبعين عاما، وعرف من لم يكن يعلم قصة البيت وأهله من صاحبة الدار، وكانّها الشمس التى سطعت الحياة فيه من جديد وازداد جسدها صحة ووفرة بمجرد استنشاق غبار الدار بعدما كادت أن تزول فى نوح وحدتها، وتعشّوا مع ليلة كغير الليالى، وتركهم وصعد يستلقى على الرمل، وتجمعت حوله قطط البيت وحمائمه وكأنه يستمع للأوز والبط والدجاجات، يتبادلون ذكريات البيت، فما شعر صباحا إلا بصوت أمه وجدته تتبادلان الحساب عن عدد طيور البيت ودواجنها ونصيب كل واحدة منها، وأخذتا

تتقاسمهم كما هي عاداتها منذ ثلاثين عاما قضيها معا ، وفوجئوا جميعا بعودة آخر الغائبين ، وكانت أرنية أخذت تروح وتجيء تبحث عن جحرها ثم خرجت وعادت بعد المغرب وخلفها زوجها وأخواتها وكثير من أبناءهم مختلفى الأعمار وهكذا عادوا جميعا لأعشاشهم ، فهما كانت البيوت والقصور فلا يسع المرء إلا داره التي ولد بها وإن كانت حاصلًا من طين .

دليل وقصواء

القصواء هي ناقة النبي محمد ﷺ في هجرته وكانت من اثنتين أتى بهما ابن أريقط إلى بيت أبي بكر ، وأما دليل فهي البغلة التي أهدتها مصر- إلى النبي الأمين من مندوبها المقوقس رئيس القبط المسيحيين، وكم غزت القصواء مع الرسول الكريم حتى أنها هي التي دخل راكباً عليها إلى الكعبة يوم فتح مكة ، ولقد لعبت هذه الناقة دوراً مهماً في العديد من الأحداث الإسلامية، وكانت لها مكانة خاصة عند الرسول وعند الصحابة. لم تكن مجرد وسيلة نقل، بل كانت رمزاً للعديد من الدروس والعبر، و"القصواء" أي "السريعة الرشيقة" وكذلك اسماً يرمز إلى "النبل والقوة". فهذه الناقة كانت معروفة بسرعتها وقوتها، وكان الرسول ﷺ يركبها في العديد من الأحداث والمناسبات. عند هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، كانت القصواء هي التي حملته في هذه الرحلة المباركة. وعندما وصل النبي إلى المدينة، بركت الناقة في المكان الذي أصبح فيما بعد المسجد النبوي. كانت هذه إشارة من الله سبحانه وتعالى إلى مكان بناء المسجد، حيث أن الرسول لم يختار المكان بنفسه بل كان بروك الناقة هو التوجيه الإلهي. كما كانت القصواء أيضاً مشاركة في صلح الحديبية، وفيها حدثت معجزة حيث توقفت الناقة فجأة عن السير، ما اعتبره النبي إشارة من الله. وكان النبي يطلق سراحها لترعى وتأكل، وكان يُقدّر تعبها في السفر والتنقل ، ومن أبرز المواقف التي برزت فيها ناقة الرسول ﷺ كانت في غزوة بدر، فقد استخدمها الرسول كوسيلة نقل ليتفقد مواقع الجيش وليطمئن على سير المعركة. كانت القصواء تتحمل مشقة الطريق والمسير، وكان لها دور هام في تأمين تنقل النبي خلال هذه الفترة الصعبة.

وأما دليل فهي أول بغلة رثيت في الإسلام وكانت شهباء وروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : "أهدي لرسول الله ﷺ بغلة شهباء ، فهي أول بغلة كانت في الإسلام ، فبعثني رسول الله ﷺ إلى زوجته أم سلمة ، فأتته

بصوف وليف ، ثم فتلّت أنا ورسول الله ﷺ لها رسنا وعذارا ، ثم دخل البيت ، فأخرج عباءة مطرقة فثناها ، ثم ربعها على ظهرها ، ثم سَمّى وركب ، وأردفني خلفه". وكذلك لم يمت ﷺ عن شيء سواها ، ولقد بقيت حتى قاتل عليها الإمام علي بن أبي طالب في خلافته الخوارج .

وكأننا أمام مشهديهما فدلّل تستأنس بها ، تسألها عن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والأخرى تبث إليها بالوصايا وكأنّها تورثها مكانها فإذا دلّل تنصت خاشعة وقد كانت نعم الرفيقة وأحسن وريثة:

- أى دلّل

- نعم يا أختاه

- لقد كانت فرحتى يوم الفتح الأعظم ليست كأى فرحة فىنى خشيت أن يتعسنى حظى ولا أشارك فيه فلما وضعونى فى مقدمة الصف طرت فرحا ، وتمنيت أنى كأخى البراق بأجنحة من نور أوصله سريعا إلى الدار المقدسة ، فهناك قد تربى ونشأ وأنا كذلك ، فهى أرض مولدنا وكم نعمنا هنا فى المدينة بطيب هوائها وحسن الصحبة والأتباع ولكن الوطن أغلى ، فكم كان صلى الله عليه وسلم يتشوق كل يوم لموطنه الأول ويرفع رأسه للسماء فاستجاب الله له .

- إى أختاه ، وكم اشتاق إلى أرض النيل اتنسم هواءها ، ولكنى الأسعد فقد أبدلنى الله غير موطنى بصحبة النبي محمد ﷺ ، فجواره يعدل كل أهل ودار.

- صدقت أختية

وظلّتا معا حتى امتنعت القصواء عن الطعام والشراب بعيد وفاة محمد النبي ﷺ ، فراحت دلّل تبكيها بكاء الابنة لأُمّها ، وكانت دلّل تغزو مع النبي الكريم وكأنّها تتقاسم شرف الجهاد وثوابه مع أختها القصواء ، وكم حزنت

وأطبقت عليها السماء يوم رحيل النبي المصطفى وقد وقفت آخر المدينة
تسمع أبوبكر الصديق يصيح:

- من كان يعبد مُحَمَّدًا ، فمحمد قد مات ، ومن يعبد الله ، فالله حيّ لا يموت .
- وبكت كما بكى كل شيء ، فآلمها الفراق وحنت لدارها الأولى أرض مصر-،
ورغم النعيم المقيم كركوبة الخلفاء أبوبكر وعمر وعثمان وعلى ، إلا أنها اشتاقت
في كل يوم للنبي كما اشتاقت لمصر- ، فلما هرمت أكرمها الإمام على ، وكان
يجرّش لها الحبوب ويطعمها بيديه بعدما سقط كثير من أسنانها، وكانّ الحنين
أخذها لمصر- فذهبت ترتحل علّها تعود إليها حتى إذا ما وصلت "ينبع" على
شاطئ البحر الأحمر أتاها الأجل فدفنت هناك .

ثلاث أرنيات

أرنيات تربت بيت، أمرهن غريب، أولاهن كانت مليئة حركتها بطيئة بيضاء اللون تأكل كثيرا وتنجب قليلا ولا تهتم بأبناءها إن أخذوا منها، ثم بعد فترة أصبحت تنجب شهرا وتتوقف شهرين، فجلبت واحدة أخرى ذات ثلاث درجات لونية سواد بياض وغرر سمر كانت عادية الجسم نشيطة تأكل ما تيسر، برسيم أخضر- أو أعواد جافة أو كسر- خبز، تقبع بجانب أبناءها، انجبت عديدا، أقلها خمس في المرة الواحدة، وربما كانت سبعة في مرتين متتاليتين، ورغم عديد أبنائها إلا أنها كانت تهتم بأبناء الأخرى وتضعهم مع أبنائها، بل وتتشاجر مع الأخرى وتطردها إن اقتربت منهم، ثم فصل بينهم وأصبح لكل واحدة بيتها، ويدور بينهم الذكر كل مدة شهرية ريثما يكبر الأبناء بشهرين، وكان منها عجبا ترضع أبنائها وتقفز فوق الحواجز وتذهب لأبناء الأخرى، ترضعهم وتدقهم ثم تغطيهم من وبر شعرها، والأخرى تراها ولا تهتم لأبنائها، وكأن الثانية علمت أن الأولى تهجر أبنائها فكفلتهم بوحي رباني، ثم ترك من أبنائها الثانية زوجين ذكر وأنثى، تخيرا من بين عديد، حتى كبرا فخصص لهما بيتا منفصلا وكانا اسعد زوجين، ثم أتى في صبيحة أحد الأيام من بين جنبات السوق بأرنية ناعمة الشعر، صغيرة صفراء بياض لامع، لا تهدأ وسط الأخريات، وهن موضوعات في قفص كبير، وذهب بها ووضعت مع الأولى فما راعها الأمر، ولكن الذكر ما صبر دقائق حتى راقته وبدا يداعبها، وأخذت تجرى هنا وهناك وذات ليلة حدثت مشاجرة عنيفة، وصراخ كبكاء الأطفال، فإذا الثانية ذهبت ترضع أبناء الأولى ففاجئها وجود الثالثة، فأخذت تعضها حتى قفزتها إلى خارج الحظيرة، وهكذا ظلت ليالي وإيام، بينما الجديدة أخذت تغدوا وتتقافز فوق كل الحواجز مهما ارتفعت فسميت العجرية وكانت كذلك، فقد تسللت إلى بيت العاشقين حتى أمكنت الشاب منها، وكانت قبله قد سمحت للآخر بإتيانها، ومر شهر ظن أهل البيت لصغر سنها

لم تحمل ،فقرروا إبعادها في عشة منفصلة محكمة الغلق ،ولكنها لم تهدأ ومزقت الأسلاك وقطعت الأخشاب ،فتتبعوها فوجدوها قد وضعت ثلاثة من الأبناء في حجر الأولى ،راحت تغذيهم وما زالت تتردد في كل بيوتات الأخريات ،وصارت بينها وبين المبروكة التى أسموها كذلك صراعات دائمة، فإذا المبروكة ترضع لها أبناءها وترعاهم وأخذتهم منها وكأنهم جميعا لها ،فكانت هى الأجدر بأن تكون سيدة الحظيرة ،وجمّز لها منزلا أكبر وفتح لها منفذا على الأخريات ،وبعيد فترة امتلأت الحظيرتين بالخروقات التى نافت على الخمسين ،بأعمار متفاوتة حتى الزوجين الشابين امتلأت حظيرتهم ،إلا الأولى فلا فائدة منها ،فقرروا ذبحها ،والأعجب أنهم وجدوا الذكر الأكبر قمحى اللون ببياض فى قدميه وغرر سوداء على ظهره ،الذى أنجب كل هاتيك الأولاد متعددى الألوان ،ليس لديه إلا خصية واحدة ؟!.

مزاد الشعوب

فى أحد الشوارع المزدهمة كانت إحدى السيارات ذات الطراز القديم تسير ، يسقط منها بابها وفوقه أحد الشباب الذى كان مستقلا لها وواقفا بالباب ، ومن شدة الزحام سقط به وما شعر بنفسه إلا منتصبا على الأرض والباب فى كتفه ، وكأنه من شدة الزحام بالطريق كان يمشى- لا راكبا سيارة ، فتركه السائق تقريبا من أهميته وغير مباليا بباب السيارة ، حيث أنه دائما ما يسبب له المشاكل ويكلف عليه الكثير من الصيانة ، كما أنه كان قرر استبداله بباب عمولة فى ورشة خراطة ، ثم يركب الشاب سيارة أجرة أخرى جديدة الموديل ، ويأخذ فى كتفه الباب القديم فيعرض عليه السائق مازحا شرائه ، ويرد الشاب بمزحة مساوية أن يقدر ثمن الباب ، فيجيب السائق بربع جنيه ، ويندفع طفل بالسيارة بأن عليه بخمسين قرشا ، ويعرض ثالث بجنيه ، ويتحول الأمر إلى تسلية فيطلق الشاب إشارة بأن يكون مزاد ومن يعرض أكثر يأخذه ، فوافقوا من باب الترفيه ويبدأ فى لم الأموال ورويدا رويدا يتحول الأمر من مزحة إلى إهتمام ، فيتوقفون فى إحدى الحارات لمتابعة المزاد ، ويغضب بعض الركاب من التأخير فيعطيم السائق أجرتهم ، ويطلب من زملاءه السائقين توصيلهم ، ويبقى بعض الأشخاص والموظفين الذين لا يعملون ، ويتحول الأمر إلى جد باشتداد المنافسة ودخول أعضاء جدد من السائقين والمارة ، إلى أن يصل الأمر أن يصبح حقيقة ، فتدخل جهات عدة ويصبح مزادا عالميا بعد أن التقطت إحدى كاميرات الفضائيات هذا التجمع وجعلت منه خبرا طريفا ، فأصبح فى لحظة أكثر الأخبار مشاهدة ، فجمع من أموال الإعجاب الإلكترونية والمنصات المال الكثير ، وانجذبت إلى الفيديو أشهر الوكالات الإعلانية ، وتنافست عليه كبرى الشركات والمؤسسات ، بعد أن أصبح مادة إعلامية جاذبة امتدت إلى عدة أيام ، وتدخل إحدى شركات الدعاية والإعلان لرعاية المزاد ، وتبدأ فى جنى أموال الإعلانات وجذب المشاهدين ، ويتطور الأمر

ويصبح مزادا رسميا له رعاة ،وبدأوا في فحص الباب ،فيتضح أن الباب جزء من سيارة مسجلة أثريا ،كانت ضمن إحدى أساطيل سيارات الملكية ،فتدخل وزارة الآثار طالبة الإستحواذ ،ثم تتبعها وزارة البترول والتي كانت تتبعها السيارة إداريا قبل اختفائها منذ سنوات بعيدة ،ثم تنضم كبرى الشركات العالمية لتوثيق هذا المزاد ،وتبدأ في بسط نفوذها على المزاد فيتم إعادة فحص الباب ،فيكتشفون به لوحة ملصقة على جداره الداخلى تتضح أثريتها وقيمتها التاريخية، ومن خلفها رسوما هندسية لأحد القصور الملكية التي تم هدمها ،وبها منظرا لأحد سرايب مقابر الفراعين التي طمست معالمها ،وفي جوانبه يكتشفون مواد بيضاء متحجرة يظنون أنها "هيروين"،وبتحليلها يجدون أنها " مادة طبية نادرة جدا "استوردت من ألمانيا قبل أن تدمر مصانعها في الحرب العالمية الثانية،فيتشعب الأمر وتحاول الحكومة المصرية إيقاف المزاد ،واستلام كل المتعلقات به عن طريق النيابة العامة التي أصدرت أمرا بإيقاف المزاد، وإعادة فتح التحقيقات في وزارتي الآثار والبترول ،عما ظهر من وقائع ولكن تتدخل شركات الدعاية العالمية التي أشرفت على المزاد لدى حكوماتها ،التي تضغط على الحكومة المصرية وتجبرها على الإستمرار في المزاد ، ويصبح أربع مزادات ،أبطالها الطفل والشاب الذين بدءا الأمر واستمرا به من أول يوم ،قبل أن تعيدهما شركات الدعاية برعاية كل منهما لمحاولة الإستفادة ،ثم يتضح أن والد الطفل كان يعمل سائقا بإحدى شركات دويلة خليجية ،فتأخذ منه الإمارة حق الرعاية والوصاية على ابنه ،وتدخل في نزاع مع شركة أخرى تعاقدت مع طليقته أم الطفل ،وكذلك يتدخل أحد البنوك العالمية في المنافسة بدعوى أن الشاب أخذ منه قرضا ولم ينتهى من سداده فيجبره على رعايته بديلا عن الشركة التي وقع معها العقد ،فيتنازعا الأمر حتى تصل المحاكم التجارية الدولية ،والتي تقرر أن المزاد أصبح قضية تجارية عالمية ،اضطرت معها عدة دول لتغيير قوانينها التجارية ،مما قد يؤدي إلى حروب تجارية عالمية،مما يستوجب فرض سيطرة منظمة التجارة

العالمية على المزاد ومعرضاته طبقا لقوانينها ،ولا يصبح لمصر- حيلة إلا أن المزاد
يقام على أرضها ،ورغم صدور الأحكام القضائية بعودة المعارضات إلى وزارة
الآثار، إلا أنها لم تستطع تحقيقها خوفا من تهديدات الدول والمنظمة العالمية بفرض
العقوبات عليها إذا نفذتها ،وتذهب المعارضات إلى الإمارة الخليجية التي فازت
باللوحة الآثرية ،والمملكة المتحدة التي فازت بالمادة الطبية ،وأكبر شركات
السيارات التي فازت بالباب وصنعت له جناحا خاصا كمتحف لعرضه ،ورصدت
ملايين الدولارات لمن يجد السيارة الأصلية التي مازالت تحقيقاتها مفتوحة ولم
يستدل على من استولى عليها من وزارة البترول ،وأين ذهبت و يكسب الطفل
آلاف الجنيهات ويصير والده مندوبا لأكبر شركات الدعاية العالمية بالوطن العربي ،
والشاب يرأس فرع الشركة الحائزة على الباب ،ويبقى السائق بالمحاكم لمحاولة اثبات
ملكيته للباب إلا أنه يدخل السجن بتهمة سرقة وإخفاء أملاك الدولةوتصير
أملاك الشعب التي ظنها كراكيب بلا قيمة معروضات عالمية وتحف تزين أشهر
الميادين والدول .

خمس أوزات

صرخات عالية دوت في المنزل ليلا ،ولكن لم يستطع أحد أن يفيق ويذهب ينظر ،فهذه أصوات الإوزات اعتاد عليه أهل القرى والريف ،ولكن هذه المرة في السحر وهنّ عادة نيام ،فقرر أهل الدار لأنفسهم أنها ربما قطط مرت من جوارهم وقضت مضاجعهم ،فخافت على أبنائها فصاحت ،ولكن الصرخات لم تسكت .تخفت حيناً وتزداد أخرى حيث استيقظت سيدة الدار قبل مياعدها بقليل على صوتهن قبيل قرءان الفجر ،ولكنها لم تجد شيئاً في ظلمة القمر ،وكلهنّ موجودات فلونهن الأبيض واضح جلي ،عدّتهن وكنّ كما تعودت واستغربت أمرهن ثم مرّ فأر هرباً من إحدى زوايا البيت ،فأيقنت أنه هو السبب ،وريثاً انفلق الصبح ألقت إليهم حبّ الصباح ،وراحت تعد إفطار الأبناء والعائلة ،ولكن شدّ بالها رقاد أحدهم الذي لم يستيقظ ،ورفضهم تناول الحب وخضرة البرسيم وكأنها تسمعهم يلتحبون ،فعادت إليهم وقلّبت الراقد ،ووجودته ممداً بلا حراك فصاحت :

- ماذا دهاك ،هل لسعت أم قدرك وحتمك ،ولا يمكن أن يكون الفأر قد عضك وهزمك ،وأخرجته من بينهم قلبه ،فأبصرت بجسده أثر أنياب وزرقة في جسده ،فصرخت أن لابد السبب ثعبان ،وجاءت رجال البيت يبحثون عنه ،فما وجدوا غير ثوب جلده عند مدخل عشهم ،إذا قد أتى هنا وأراد التغذى على إحدى بيضاتهم فتصدى له الزوج ،فتلكم الطيور يغار فيها الزوج ويدافع عن أهله ،وكانت التي تصرخ زوجته تعاضدنه وتنصرنه ،ومرّت مدة لاحظت أن الأوزة الكبرى زوجته الأولى أظلمت إحدى عينيها ،وأصبحت تنظر بجانبها ،فعلمت أن الحية قد رمتها بسمها بعدما قتلت الزوج قبل هروبها وانسلاخها من جلدها هرباً من المعركة ، وفقسست بيضتين فقط من كل ما وضعت الأمين ،وبعد أسبوع لم تخرج من الأخريات أوزات فكسرتها الأم ،فإذا الأجنة ميتة ورأيتها النتنة ملأت الحظيرة

،فجمعتها سيدة الدار وألقتها خارج البيت ،ومرت عدة أسابيع قررت فيها استجلاب ذكرا آخر لها فلا يجب أن تبقى بلا زوج مدة طويلة ،وبالفعل أتى ذكرا يافعا شابا ،رفضتاه أول أمرها ثم تقبلتاه وكانت الصغرى أسرع في ذلك ،فأخذ يغشيهما حتى أتى أوان الوضع ،فكانت للصغرى خمسة منه أمّا الكبرى فوضعت كعادتها منذ سنين اثنتين بعدما كانت هي وحيدة الأوز وتملأ البيت من بيضها ،وإذ يفاعاً أهل الدار بأنّها نقرت البيضتين واسالتهما ،وكانها ترفض أن يكون لها من غير وليفها الأول ذرية ،وصارت على ذلك مدة ،فوضعت منفردة مع ابنيها ،واستلذت الأخرى بذكرها الفتى ،وإنها لهى إحدى بناتها التى استبقيت لتمييز لونها عن الأخريات ،فكبر الاثنان مع أميها وقررت صاحبة الدار إبقاءهم أحياء لينجبا ذريات ،وتذبح لأهل البيت من أبناء الأخرى ،وكان منها ذكرا فلما شبّ أخذته شهوة الشباب فألفى وليفته وغشّاها ،وكانت أمهما دائما تضع بيضتين لا تنجبان ،وكانّها قررت ألا تنجب ذرية بعد استشهاد زوجها دفاعا عنهم ،وإن عاندتها طبيعة الأنثى فتضع بيضتين بلا تلقيح ،وذات يوم سقطت فواصل العشش فصارت معركة وطيسة بين الذكرين هدمتا خلالها العشش وأفسدا حتى بيض الدجاجات ،فتقرر ذبح أحدهما ،فلما احتار أهل البيت، قررت السيدة ذبح الآتى الغريب ،فذبجوا الذكر المستجلب من خارج البيت ،فهو الذى تعدى وأراد السيطرة على البقية ،فهذا جزاءه وصار الإبن راعى الأوزات الثلاث ،وكان منجبا فكانت تأتيه بزوجات بكر من الجيران ،لتحسين نسل أوزهم ،وعاشت الأم بعين واحدة ترعى الجميع ،فغالب الوقت كانت هى التى ترقد على البيض جميعا الذى جعلوا معا كبيت أوزات واحد، حتى بإضافة زوجة ثالثة له- تغنى الذكر عنها- ،فلما انقطع بيضها وتأنفت نسوة الجيران والبيت من منظرها العجوز وهى العوراء ،كانّها فآل سىء ،يريدون كل شهر ذبحها

أو تسريها من البيت ،فتهاهم سيدة الدار فكيف يتخلون عن عايشتهم في عز غناهم وقلة حبوب حقولهم ،وكانت لها من الذرية ما استطعم منها الجميع وربحوا ،فلا وألف لا على ذبحها ،فلتبقى وليذبحوا أيًا ما شاءوا إلا هي ،فهى كسيدتهم تبقى سنينها حتى يأتيها أجلها ،وقد أتى ذلك اليوم فوجدوها تمنع الأكل وتنتحى بجانب العشة ، فأخذتها ووضعها في سلة العيش الكبرى ووئدتها لها بحزم البرسيم الأخضر- وقليل من الماء بعدما حاولت إطعامها بحب القمح والذرة جبرا ،كما كانت تفعل مع كل صغار الطير والحيوانات ،فلا تدخل جوفهاوبقيت أياما ثم ماتت ،ومن بعدها لم تهتم الأوزات لبيضايتها فكانت كل شهر تفقد ثلاثة أرباع الذرية ميّنة من قلة الأمومة ...فلما وجدت سيدة الدار حال الأوزات الجديدة كذلك لا تهتم إلا لنفسها ،قررت ذبحهم جميعا في يوم واحد ،وأبقت الزوج لعلها تجد له أوزة كجدته الراحلة ،وفاتت مدة طويلة حتى أتها إحداها هدية ردّت إليها ،وكانت من حفيدات جدة الأوز الراحلة ،فاستكملت الحظيرة طيورها فهى أشرف الطيور المنزلية ،وأحرسها للبيت فإن احست بدخيل على البيت صاحت وصرخت ،فلا لص أو حيوان يقرب البيت إلا قاتلته فترده خائبا أو جريحا أو مقتولا.

شقاوة صغار

كان جرّوا صغير أهدي إلى الطفل الصغير، وكبر معه وكان يخيف به أقرانه حيناً أو يلاعبهم معه أحياناً، فقد تربى على يديه يحمّيه ويطعمه، حتى كبرا وصار يخرج خلفه إن خرج، ولكنه كان يعيده خوفاً أن يبتعد عن البيت فلا يعرف طريق العودة، إلا أنه أخذ يتبعه في ذهابه وغدوه من مكان إلى مكان، وكان كذلك منذ صغره فقد فوجئ يوماً وهو خارج من المسجد بعد صلاة الظهر، أنه جالساً ينتظر، فما إن وصل إليه حتى هم واقفا يدور حوله ويتمسح بأسفل قدميه، وليته علمه شيئاً جيداً، إلا أنه أعلمه عادة سيئة، كانت سبباً في هلاكه، إذ أنه دربه، كما كان يفعل هو، فإذا وجد أحد أصدقائه أو أقرانه يمر أمام بيته، أن يتسحب خلفه بلا صوت، ثم يخيفه فينفزع أو يسقط أرضاً، ثم يتجاروا خلف بعضهم البعض يلعبون ويلهون، وكان هو معه في ذلك، ثم كان يستخدمه في إخافتهم، فبرع في ذلك ما إن يشير إليه، فيرقد على قدميه زاحفاً خلف من أشار له عليه، فما إن يشعر به تحت قدميه فينفزع رعباً ويصرخ مبتعداً، وصاحبه يقهقه من ذلك، فلما كبر حاول منعه عن ذلك فامتنع قليلاً، إلا أنه فوجئ به يمتنع أمامه فقط، فإن خرج بمفرده أمام البيت راح يزحف خلف الغادى والآتى، ثم يعضهم من كعب قدمهم، فلما فعلها ذات مرة مع امرأة سقطت بحملها وحولتها التي فوق رأسها على الأرض، وهاج الجميع على والد الصبي، وأمره أن يربط هذا الكلب السيء الخلق، وربط بجوار حظيرة المواشى، وكلما ربطوه وسع الصبي له القيد خوفاً عليه، فينسل بنفسه وفي آخر مرة ربط بجبل من كتان في رقبته، بقى به أسبوعاً يحاول الفكّ فلا يستطيع، وكذلك صديقه لم يستطع توسعته عن رقبته فيديه صغيرتان تتجرح من الجبل، وكذلك أثر في رقبته، فأصبح حزازاً حولها حتى أصبحوا يوماً فوجدوه مقلوباً على رأسه مخنوقاً في حبله، كأنه كان يريد الفكّ ليلاً ولكنه انعدم ولم تخيله صاحبه يتلوى طوال الليل محاولاً النجاة من خنقة الجبل فيبيكه بشدة، فقد ذبحه وهو الملام، لقد كان هو الذى أعدمه بسوء أدبه له، ومن بعدها لم يأتى بكلب آخر خشية عليه من الموت بسببه.

نازل النخلة

ذات يوم خريفى أخذت أحد الأطفال سنة نوم بعد صباح طويل من اللعب والتجول مع الزارعين فى أرضهم، واستيقظ فإذا المؤذن ينتهى من رفع نداء صلاة العصر-، ونظر حوله فوجد نفسه فى عمق البيت بمفرده، أخذ يبحث عن الآخرين فلا أحد، التلفاز ذو الإطار الخشبى مغلق، الحجرات فارغة، كل شىء على الكنبات، الوسائد الطرح أكواب الشاى، يوحى بأنهم هنا، اتجه للبواب الداخلى للدار وجده موصدا من الداخل، وكان ذاك الباب ما إن يحركه أحد أو يلمسه شىء ما، أو حتى نسمة هواء نازلة من فتحة أعلى السلام المقابلة له، فيكر عائدا إلى المغلاق فينغلق، ولذلك ربط به حبل يشد من الخارج فيرتفع وينفتح وأمسك ذكر المغلاق رافعه لأعلى ولكن الباب لم يفتح فهزه فانغلق ثانية، ووجد المغلاق الخارجى موضوعا فى حلقة فعلم أنهم كعادتهم، خرج الرجال للجلوس على مصطبة البيت الخارجية أو تحت شجر الصفصاف على شاطئ التربة، يتنسمون هواء العصارى، والنسوة تجمعنا فى الحوش الموجود فى أحد جوانب شارع البيت الداخلى التى تطل عليه خمسة بيوت لهم، أمسكوا بالشبّ -"العجل الصغير"- لإعلافه بالفول المنقوع من ليلة أمس لتسمينه وتغذيته تمهيدا لبيعه، وقد تعود إمساكه مع أمه وجدته وإرقاده أرضا، وربط أقدامه بجبلين، وربما أتت نسوة أخريات لتساعد وتتسامر معهم الأحاديث وتنقل الأخبار إليهم وتأخذ أخرى بديلة عنها، وراح يصيح صيحة غضب وحزن، فقد ألف مشاركتهم ونادي بأعلى صوته، ولم يجبه أحد، ويتسمع الأحاديث فيجدها للنسوة عديدة فعلم أنهم ملتهون بلذيد الأخبار والسير، وتركوه نائما كى لا يعكر عليهم أو يختلس الأسرار منهم فقد كبر وشبّ عن طوق الطفولة البريئة، وتظهر فى عينيه إمارات الفهم والإدراك، وقرر أن لا بد من الخروج ولكن كيف والبواب موصد من الخارج والداخل ولا حيلة إلا بقدم أحدهم ولما يأس من إجابة النداء صعد لأعلى البيت، لعله ينظر

من شرفاته ، فيرونه أو يسمعون صياحه ، وفعل ذلك وكأنهم في آخر البلدة ، فقرر أن يكمل أعلى السطح وينادى ، ولما وصل هناك فاجتته غصون النخلة متدلية على السطح وكم تمنوا أطفال البيت كثيرا أن تأتي لشرفة من الشرفات في تمايلها اليومى من شدة الريح فيأخذون منها التمر بلا تعب ، وكانت نخلة طويلة جدا ، هما حاولوا قذفها بالأحجار والأشياء لتساقط عليهم رطبها فلا تصل مقذوفاتهم لنصفها ، ووجدوا فرصة لا تعوض ، فإنها توشك أن تبتعد وأخذ يجمع من رطبها ويابسها حتى نزع سباطة كاملة على سطح البيت وفرع من أخرى مدد إليه يده ، فطالها وأمسك بها بكلتي يديه ، وكأنه يقبض على صدر صبية ندية فيرتجف ، ونظر أسفلها فإذا النسوة ملتهيات بإعلاف الشب ، وهناك الجيران لا تلاحظه منهن امرأة كما اعتادت عند صعوده فيحذروه من السقوط ويهتفون صائحات على أمه ونساء البيت ، أن تركوه يصعد بمفرده هناك لأعلى سطح بالبيت ، ولأول مرة يجد نفسه منفردا ، وكم رأى طراح النخل ينزل ويركب نخلات كثار ، فحدثه نفسه بفعل كفعله ، ولكن كيف وجدها أمام باب البيت المغلق ، وفجأة أتت ريح شديدة فشدها وهو معها ، وكاد أن يسقط لولا أن تركته سباطاتها وجريدها ، فأخذت تتراقص غادية وآتية ، وألقى نفسه في علوها يمسكها وركبها من أعلاها كفرسة تعلق برقبتها ، ولكنها ما عادت إلى علوة السطح ، وإنما تمايلت مبتعدة وارتعشت فرائصه خوف السقوط ، وطوقها بذراعيه فأصابته أشواك جريدها الأخضر - واليابس ، وتوجع ودارت رأسه ماذا يفعل فإن صاح فلا سامع يجيبه ، وبقي عليها تتراقص به يمنة ويسرة وانتظر أن تعود إلى سطح الغرفة الخارجية أو حائط السلام العلوية فيلقى نفسه - على أحدها وينزل ، ولكنها لم تفعل وكأنها أتها فرصتها ، فكم ضربوها بعضى - وأحجار من سافلها وأعلاها ، وهدأت الريح وتوقفت منتصبه وصارت في عنان السماء ، وأتته برودة الجبن ماذا يفعل به لو نادى وأنزلوه عنها ، فهم لابد ضاربيه ضربا مبرحا شديدا لا يطيقه ، وأكيد بجريدة خضراء منها ، تلهب الظهر والخلف ، وإن تركت نفسه

فسيسقط أرضاً ويموت، فتشجع وقرر البقاء وتشبث بها، وراح يفكر مرتجفا ماذا سيفعل، ثم بعدت عنه المخاوف، فالمنظر من علو لأسفل ممتع، يراهم هناك يجلسون يرتشفون شاي العصر- على شاطئ التربة تحت ظلال الأشجار ومن بعيد يرى العائدين من الحقول، وعلى الأغصان تتطاير العصافير وتتجمع مع القرادين، وصار كمثلهم عصفورا على شجرة، ثم اهتدى لحلمه أن يطلع النخلة وينزلها بلا حبل كطراح النخل، وقرر النزول وتحسست لقدميه مواضعها، فخرحتا أول الأمر وأنزلق بالأخرى، ويدها متشبثة في الجريد والسباطات، وبدأ يتمرن هابطا ورافعا نفسه، وجسده متصلب في مكانه فلما تعلم الإمساك بها ووضع قدميه على مواضعها الصحيحة، تجرأ ونزل فكانت أول نزلة كدھر من الجري، القلب يرجف والصدر تتصاعد أنفاسه، ثم هدأ بعدما نجح بالنزول، وظلت يدها تتنقل بين أغصان الجريد القديمة المقطوعة ونزل أخرى وثالثة وفي الرابعة وفي الرابعة ارتفع صاعدا عائدا لموضعه السابق ثم نزل لثالثتها كما كان. لقد صار ماهرا متقنا نزول النخلة وصعودها وهبط حتى قرب من منتصفها وأتته نسائم عطرة بطعم التمر ورياحين السنط وقطرات هاربة من ماء الشط فانتعش وراح يمسكها بيد واحدة، وترك الأخرى، فكاد يفرّ، ولكنه صار كأّمھر نازلي النخل وطالعتها، وتلفت حول الدور فرأى صبية تستحم وتراقص وتغني، ولم يتبين منها سوى ربع نصفها العلوي، وعلى مقربة أكثر أبصر- ربة بيت، تتلفح ملابسها الخارجية وكأنها استيقظت صبيحة يوم لا آخره، والطيور مرحة تدور وتلعب، والديك يغشى- دجاجاته، وعلى البعد يرى الصبيان بالكرة يتلاعبون، وافتقد مكانه معهم بنومه الطويل، حتى خضته صيحة صراخ رفيعة أثوية، فإذا الصبية قد رأتة فغطت نفسها بالثياب ودعت عليه أن يسقط فتنكسر- رقبتة، مبتسمة بعينين لا تؤمن على دعائها، وأغلقت ستائرهما قليلا ثم عادت وفتحتها تسأله :

- أنت طلعت هناك إزاي ثم تمت منه تمرا رطباً ، مما جمع وكانت سيّلات
جلبابه مليئة منه ، أكل الكثير بعدما اطمأن قلبه بعدم السقوط ، وراح
يطوّح يده بجبات الرطب إليها ، يصلها القليل ويسقط أكثره بعيداً ، فتهمه
بالخيبة ، ونزل درجة أخرى فانتصبت عينيه في ناظري المرأة ولطمت على
خديها

- كيف صعدت كل هذا العلو ، وتبسمت قليلاً مرددة بعدما أبصر - زوجها
هابطاً سلام بيتهم خارجاً من غرفتها :

- أوعى تكون شفت حاجة ، ومتقلش لحد على حاجة ، ، ثم ألقي إليها بجبات
تمر ورطب ، ولكنها خدعته فراحت تصيح منادية على أمه ، وارتجف قليلاً
فلما تيقن من عدم سماعهم لها دعاها للنداء بأعلى صوتها فلن يسمعها أحد :

- ما تخصّيش علىّ ، وأنا مش هأقول على اللى شفته ، واتفقا على ذلك بعدما
أخذت تقبض على شفاهها ، وعدّلت من وضع ثديها بعدما فتحت أعلى جيبيها
وأنزلت سحايها من قمة إغلاقها التي رفعتها إليها منذ قليل - وكان قد رآها تبدل
ملابسها الداخلية العلوية قبل الخارجية فطلّت منها أثدائها ، وظنّ أنّ هذا
هو السر - الكبير لديها . وأكمل نزوله من على النخلة ورأي بعض الأقران
يحاولون فتح الباب فلا يستطيعون الوصول لحبل المغلاق ، فأخذ يقلد
صوت الكبار ، وكم أنفاسه ولأول مرة يتحدث بدون فتح فمه ، فارتعّبوا بعدما
داروا حول أنفسهم ولم يجدوا أحداً ، ورأي آخرين يبحثون خلف الدجاجات
عن بيضهم ويقرروا دسها بعيداً عن الآخرين وعنه هو بالأخص فراح
يتلصص عليهم من علو ، وعرف مخبئها وقرر استلابها بعدما ينزل ، وها هو
جروه الصغير يتجول بالبيت يغادر للشارع عند الكلب الأكبر ويعود يبحث
عنه وهو يناديه ويصمت ، ثم يصفرّ له فيأتى كما تعود فلا يجده فيخرج ، حتى
اقترب من الدور الأول ووقتئذ وجده بشم رائحته ، ثم رآه وأخذ يتقافز يحاول

أن يصعد النخلة ورأته متوهما أنه صعدا وتركه ،وراح ينبج نباح الصديق ،وما إن هم أن يصل للأرض ،فوجئ بنسوة الدار عائدات ففتحن الباب واندس هو في النخلة ملتصقا بها صامتا بلا حراك،والجرو ينبج خلفهم يرجوهم أن ينزلونه ،فلما اختفوا وتيقن من عدم عودتهم هبط بطيئا بطيئا ،وما إن وطئت قدميه الأرض وجد إحداهن قد رأته وصاحت في الأخريات أنه يحاول صعود النخلة وتصيح :

- وماذا لو انزلت أو قطمت رأسك بعد السقوط، وأخبرهم أنه كان يحاول فقط ،وأنت أخرى مسألة :

- كيف خرجت ؟وهم قد تركوه نائما ولم يوقظه أحد وتحايل عليهم أنه خرج خلفهم بعدما فتحو الباب الآن ،وراح يتحين الفرص للمكوث بالبيت منفردا ،لعله يعاود الكرة وينزل النخلة من أعلاها ،وكانت الرهبة منها قد اختفت فراح يصعدا من أسفلها حتى أعلى سقيفة حوش البهائم والذي نصبت عليه جذوع الشجر للتظليل عليهم وأطرافها الأخرى على عروق من الخشب شدت ما بين النخلة وفتحتين في الحائط المقابل لها ،ورأته جدته يصعدا يوما وينزل فطالبته بنشر- حزم النعناع المغسول وقطوف الملوخية التي ستحتفظ بها وتجففها بعدما طبخ بعضها الأخضر- ،ولما علمت بقية النسوة كن تأمرنه بوضع المفارش والسجاجيد فوقها لتجف وأحيانا في أيام ابتعاد الشمس عن الأرض برص مقارص العيش عليها وحراستها من الطير والعصافير ثم انزالها بعدما تخمر وهكذا ... ازدادت مسئولياته وكان يغيظ بها الآخرين من صغار وذات يوم وهو هابط من أعلى البيت على السلام فوجئ بجذعها قد اقترب على حائطها ،فاتهزها فرصة ولم يتحسب لكثرة النساء بالبيت ،وركبا وما إن بدأ ينزلها إلا وصاحت به إحداهن فجذبت انتباه الأخريات وصرخن كلهن فيه، النازلات على السلام واللاقي كن بالحجر ومن كانت أسفل النخلة في صحن البيت فعاد

سريعا وعدّل من وضعه، واسند قدميه على الحائط وساعدته واحدة من النازلات ودلف سريعا على السلام بعدما أتت أخرى لتضربه بعدما عرض نفسه للموت، وجاء الرجال على صوت صراخهن وحكين لهم فأقسموا أن يضربوه ضربا مبرحا وصعد أحدهم على السلام يستطلع أمرها فاتخذ قرارا بأنها أصبحت خطرا على البيت ويجب قطعها والكل وافق بلا تردد إلا هو، ولكن لم يأبه لرأيه أحد واصدروا أمرا بمراقبتها والتحسب من الجلوس أو المرور أسفلها ومن الأطفال وبالأخص الطفل الشقي والمقصود هو، وبعد بضعة أيام أتى طراح النخل وركبها بحبله الملفوف على وسطه وحولها وصعد حتى ثلثها الأخير ثم أخذ يحذّها بمنشار ويقطعها بقدم من أجنابها وهبط سريعا وكان قد ربط رأسها بحبل متين، فما إن نزل أمرهم بمسك طرف الحبل الطويل جميعا والشد معا من خارج البيت بعدما رمى به من أعلى سقف وجدار مقابل فخرجوا ناحية الطريق العمومي وبجوار التربة تحلقوا وأمسكوا بالحبل وشدوا شدة قوية فكادت أن تميل كلها معهم حتى انثنت للجهة الأخرى فطلبوا المساهمة من آخرين فأتوا ولما وجدوه ينظرهم أمروه بمسك طرف الحبل من خلفهم، وظلوا يشدون ويتراجعون للخلف حتى كسرت عنقها فهربوا مكبرين، ووجد نفسه يطير معها مجرورا على الأرض فتضاحك الجميع بعدما أمسكه آخرون من قدميه، حتى لا تخطفه نفسها فيموت شهيدا وقهقه آخرون والتراب لون وجهه، وأكمل طراح النخل قطع جذعها وترك آخره منتصبا كطلب أهل البيت لعله يفيدهم في جمع الطيور حوله داخل عشة صغيرة تنتصب تحته أو يمدون حبلًا للغسيل عليه، وكانت بداية قطع كل النخيل الطوال بتوجيهات حكومية بذلك خوفا على الناس بعدما سقطت أخريات فوق بعض الدور مع شدة الرياح الربيعية .

جعران الحظ

فى معبد الكرنك تتواجد البحيرة المقدسة وهى التى شاع عنها أنها تتحقق بقرها الأمانى فأصبح الزائرون يلقون عملات معدنية بعد أن يضعوها على فمهم متمنين شيئاً، وذات يوم ذهب معلم مع بعضاً من طلابه فى رحلة مدرسية، فتجولوا بقرها بينما شد انتباههم آخرون يطوفون حول عمود صغير فضّته حورس الصقر، فلما اقترب منه وجد عليه مجسماً لكائن آخر، وبالتمعن وجدته خنفساً، فسأله الطلاب عن وقوفه أمامه وعن هؤلاء الذين يطوفون حوله، فلم تكن عنده معلومة برغم أنه زار المعبد كثيراً فلم ينتبه له إلا هذه المرة، فقرر أن يستفسر - من أحد المرشدين، فدلّه وتعجب من المعلومة، وعند آخر النهار وهم على وشك المغادرة بحث عنهم فوجدهم جميعاً مشدوهين أمام الطوافين حوله حتى الزملاء والزميلات من معلمين ومعلمات، فلما أخبرهم بما علم أخذتهم الدهشة، واستنكر البعض تشبيهه بطواف الكعبة فهم يطوفون سبعة أشواط كذلك، ولما أراد الطلاب التقرب منه والتمنى بعدما فعلوا بقرب البحيرة منهم من الطواف، وإن لم يمنعهم من ملاسته، وبعيد فترة الإستراحة فى طرف من بهو الأعمدة لتناول غداء الرحلة والتأمل، تبعثر الطلاب كل فى وجهة، من يتضحكون ومن يغدون ويروحون، فلما قرب الرحيل وحل غروب الشمس راحوا يجمعون شتاتهم فافتقدوهم وإذ يجدونهم قد كونوا حلقة حول الجعران ويغنون الثعلب فات فات وفى ديله سبع لفات... وانضم إليهم كل السائحين الذين دخلوا من قريب يصفقون ويرددون خلفهم ظناً أنها التعويذة الفرعونية، والكل فرح ومسرور فمنعوا أنفسهم أن يعكروا صفوا الجميع وجذبهم اللحظة فانضموا من فورهم وراحوا يلقون عليهم أقوالاً مواربة ضد الحكومة وهم يرددونها وكانت دقائق مبهجة وسعيدة وتضحكوا وفرحوا، ثم غادروا وشكروا من قبل المرشدين فقد أمتعوا الزائرين بتعلقهم حول الجعران فقد انجذب إليه الجميع وأخذوا يلتقطون الصور التذكارية بجوارهم، وكانت الشمس تغيب وألقت عليهم

جميعا ظلّالها الصفراء بأشعة حمراء ذهبية ، وهبت رياح ربيعية مفاجاة بعد يوم
طويل من الحر وغادروا ولا يدري المعلم ما أتاه من إحساس غير عادى كأنه عاد
ألفى سنة يجلس بهذا الحرم المقدس تظله خيوط الغروب ويراهها تنغمر في حواف
البحيرة كما رآها صباحا ترتفع من مياهها ، وكأنّ هناك من أتى صباحا وغادر
، وخرجون يهبطون إليها ليلا ، ولم يعد يفته بعد ذلك في ايما زيارة أن يقف أمام هذا
المقدّس .

كلب أصيل

مر أسبوع على وفاة كلبيهم الأليف الذي انحدر من أم أجنبية وأب مصرى ،كانت أمه ضمن الفرقة الإنجليزية فى قناة السويس أثناء الحرب الثانية - وهناك كان جدهم بقرية التل الكبير يعمل فى حفر الترع فاخذ واحدة ممن كانت ضمن حراس المعسكر ثم جلبها معه بعدما لقحها من كلب بلدى كان لديهم هناك،وأخذهم معهم عندما قرروا العودة لأرضهم ودارهم فى صعيد الوطن ،ومن هذه الذرية عاش هذا الكلب حتى بعد وفاة الجد ،اتصف بقوته وشجاعته وفى ذات الوقت طيع يأكل عندما ينادى عليه ولا يسرق أكله ولا يرضى بالجيفة ،وكان أطفال العائلة قد عرفوه كما هو كبيرا قويا ما جرؤ كلب أن يتعدى حدود بيتهم أو شارعهم إلا إن كان صديقه ،وقيل هذا الأسبوع كانت قد مرت عليه السنون فظنوا أنه بلغ مائة عام ،حينئذ تكاثرت عليه فى ليلة شتوية كلاب مرتحلة خلف أثائها ،-والتي كأنها رغبتة دون الآخرين فهددوهم وتصدى لهم وفرقهم وهربوا من أمامه خائفين ،وابتعد عن مكانها إلى أرضهم وهناك داروا عليه ولكنه تصدى لهم وعاد منتصرا وما كانوا ليجرؤا على الإقتراب من دار أهله فى عنفوان شبابه ،وقيل انتهاء فصل الشتاء كأنهم اتفقوا عليه أتوا فى ليلة باردة مطيرة من شهر طوبة ،وقاتلوه منفردا وكانت معركة حامية الوطيس ولكن الجو شديد البرودة ودفىء الفراش منع أصحاب الدار من إغائته فلما أصبحوا وجدوه ممضخا فى دمائه يرتعش من جروحه تحت سقيفة مدخل البيت ،فأخذوا يداوه شهرا ومنعوه من الخروج واشتد عوده وعاد عواءه يملؤ الجو ،وكانت تأتيه كلاب أصغر وأسن منه صادقته وأخرى من نسله وكأنهم تجيئشوا خلفه للثأر ،واذ بليلة ربيعية خرجوا فى سحرها إلى أرض الأعداء وكانت معركة طارت لها جفون النائمين ،وعاد منتصرا مجروحا وأكل كثيرا مدة هذا الأسبوع والجراح تنزف يوما وتجف يوما ،وهو ينام فى نهاره فلا تسمع له وأما بالليل فلا يجرؤ غريب أن يقترب من باب الدار وافتقدوه ليلة ،وأخذوا يبحثون

عنه وصبيحة اليوم التالى وجدوا جثته أسفل شجر الصفصاف على شاطئ التربة أمام بيت صاحبه ،دلهم عليه جموع الكلاب التى أتت تودعه و كانت تجلس بجواره فى خشوع ،فما علم أحد من الناس إلا حزن عليه أشد الحزن ،فقد كان جليسا للجميع ما جلسوا على مصطبة البيت أو تحت أحد شجره على شاطئ التربة -وكم أعقب لهم من جراء -،وتمنوا لو أنهم يحفرون له قبرا دونا عن بقية الكلاب ،وبالفعل حفروا له حفرة على طرف الشاطئ أسفل سنطة و صفصافة اعتاد أن يقبع تحتها كل صباح بعد مناوباته الليلة .

شجر الروح

لن يصدق أحد يوما أن تكون روح انسان مرتبطة بشجرة أو كائن ، فقد كانت بإحدى القرى شجرة عتيقة من شجر الجميز يأكل منها الكل ، ويتعجب من كبر جذعها وقدم عهدا للجميع فمن قال أنها بلغت مائة عام وأكثر ، وآخرون قرروا أنهم ولدوا وشاهدوها كبيرة مورقة الأفرع يأخذون منها للتعریش أو التدفئة ، ولا تتأخر في ثمرها عام بعد عام ، حتى أتى يوما توفيت إحدى عجائز القرية ، وكأنها أخذت من الشجرة روحها فذبلت أغصانها وامتنع ثمرها عاما ثم خار جذعها وسقطت وصارت طللا يترحم على أيامها الجميع ، وتلكم شجرة أثل زهرها أعطر من الرياحين اخذت تفارقهم يوما بعد يوما فسقطت اوراقها ولم تعد وجفت اغصانها وإن بقي عطر زهرها فيها ، يخرج رغم عن كل شيء ويمرون من أمامها ويجدونہ يجلس أسفلها يحيونه بالسلام وباسمه ، فيرحب بهم وهو لا يراهم ، وإن جلسوا بجواره يسألهم عن أهلهم وأجدادهم فما إن يعلمهم حتى يترحم عليهم وعلى الأيام الخوالي معهم ، فمنهم من زرع معه أشجار ماتت بموتهم ، وها هو تقترب أيامه فإن دعوا له بطول عمره رفض التنى ويقول :

- عمرى أنا وهذه الشجرة واحد ، يوم أن تموت أموت ، وذات يوم مروا بها ووجدوها قد رقدت على أغصانها ، وجذورها غادرت أرضها ، وفي آخر النهار تجمع الخلق أمام داره فهو أيضا رقد على فراشه ، وعلموا أنه يوم الرحيل فقد أخذ روحه من الشجرة وغادر .

هرة أبو هريرة

جاء في الأثر أن القطط لا تنجس ماء الوضوء والإغتسال وإن ولغت فيه ، وكذلك إن صارت أمام المصلى لم تبطل صلاته ، وإنها لحيوان طاهر وقيل أيضا أنها هي المقصودة بآية:

"طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ" ، وإمام الحديث أبو هريرة انتسب بها فقد سمي كذلك لأنه كانت له هرة يرعاها وترعاه فتذهب معه في كل حين ، حتى أنها لكانت تجالس معه النبي محمد ﷺ بل إنه كان يدفئها في كم قميصه. ولدينا القطط كأنها مولودة معنا فلا ترى بيت من بيوت القرى يخلو من قطرة ، وكم هي جميلة في البيت وكيف أن المصريين القدماء اتخذوها كإحدى الأرواح المقدسة في حياتهم ، وكانت هناك في البيت الكبير قطرة تؤوى لطفل في فراشه ما إن يضع رأسه على الوسادة ، وهي لم تكن تأكل الموات ولا حتى تلعب بالخوارق الصغيرة كغيرها اللاتي كنّ يتعلمن الإقتناص في صغار الأرانب ولا يأكلهن ، إلا واحدة لم يعلموا من أين أتت ، اندست وسط القطط التي كانوا يرعونهم في بيوتهم وبقيت وسطهم وشكوا فيهم كلهم فإذا أصبحوا يجدون أمامهم أو بجوارهم الخرونق مخنوقا أو مقطوع الرأس ، وبذنبها ماتت تلكم القطيطة البريئة ، ففي أحد الأيام وجدوها ملاقة على سطح جار من الجيران ، وافصحوا لهم أنهم ضربوها ضربا مبرحا فماتت بسبب شكهم أنها هي التي أكلت فرخ حمامهم ، فلما حزنوا جميعا عليها قرروا البحث عن المجرم بين قططهم الأخرى ، وبعد جهد وترقب علموا أنها الغريبة تنسل من بينهم ليلا لتذهب ترتكب جرائمها فضربوها وطردوها من بيوتهم ، وحزنوا على البريئة ، فقد كانت من سلالة بلدية نقية جدتها كانت بالبيت منذ ثلاثين عاما أو أكثر ، ورغم كثرة القطط لديهم لكنهم لم يجدوا مثلها فكأنها آخر سلالتها ، ومهما جاءت غيرها وهنّ كثر يمكن بدارهم دونا عن بيوت الآخرين لم يشعروا بجنوهم وقرهم كالذي رحلت ، أو ربما تكون كما قيل في بعض الحضارات إنها روح الأجداد تتمثل

في قطة ربما كانت بينهم وغادرتهم ، وانتظروا كثيرا عودتها ..حتى أتتهم إحدى أرواح
الراجلين ففرحوا بها وتوددوا لها فسكنت نفسها إليهم وعمرت دارهم.....

وقد ورد في الأحاديث : "وحدث عن مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة
عن حميدة بنت عبيد بن رفاعه عن خالتها كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت
ابن أبي قتادة الأنصاري أنها أخبرتها : أن أبا قتادة دخل عليها فسكنت له وضوءا
فجاءت هرة لتشرب منه فأصغى لها الإناء حتى شربت قالت كبشة : فرآني أنظر
إليه فقال أتعجبين يا ابنة أخي قالت: فقلت نعم فقال: أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات .
"رواه مالك وابوداود ، والترمذى ، والنسائي "

وكذلك ورد "حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبدالعزيز عن داود بن صالح بن
دينار التمار عن أمه أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى عائشة رضى الله عنها فوجدتها
تصلى فأشارت إلى أن ضعيفا فجاءت هرة فأكلت منها ، فلما انصرفت أكلت من
حيث أكلت الهرة فقالت إن رسول الله ﷺ قال إنها ليست بنجس إنما هي من
الطوافين عليكم وقد أيت رسول الله ﷺ يتوضأ بفضلها " رواه ابو داود.

وأتى أيضا "حدثنا عمرو بن رافع أبو حجر وإسماعيل بن توبة قالا حدثنا يحيى بن زكريا
بن أبي زائدة عن حارثة عن عمرة عن عائشة قالت كنت أتوضأ أنا ورسول الله
ﷺ من إناء واحد قد أصابت منه الهرة قبل ذلك ، والهرة لا تقطع الصلاة لأنها
من متاع البيت "رواه بن ماجه

أما عن أكلها فقد ورد "حدثنا الحسين بن مهدي أنبأنا عبدالرزاق أنبأنا عمر بن
زيد عن أبي الزبير عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ عن أكل الهرة وثمنها ."

غير الحديث المشهور عن المرأة التي دخلت النار في قطة حبستها فلا هي تركتها
تأكل من خشاش الأرض ولم تطعمها .

السلعوة

فى ليلة قمرية ومن بعد صلاة العشاء قام أحدهم فى المصلين منها عليهم الحذر وإحاطة أهلهم ومن يقابلون بأن رجلا وهو عائد بعد المغرب من حقله رأى سلعوة هابطة من الجبل وعلى الجميع الإلتباه والتسلح ، وكانت تلك من الليالى التى تقطع فيها الكهرباء من العشاء حتى الصباح ، وراح يجلس فى ضوء القمر مع الجالسين بعضهم وشومهم وأسلحتهم من سيوف القصب وقداديم وحراى وقليلون ممن حمل بنادق استعدادا لسهرتهم فى الغيطان لرى الأراضى . ولما تسال الصغار عن معنى السلعوة ، علموا أنها أول الأمر كانت لفظة تطلق على أنثى الذئب او الضباع التى ولدت وجاعت ولا تجد فى الجبل ما يسد جوعها هى وصغارها فقررت هبوط القرى القريبة لجمع غذائها من طيور البيت وحيواناتها من خراف صغيرة أو ماعز نسيت منفردة خارج الأحواش ، حتى أتاها خبر من سنوات بأن أحدهم فى قرية غير معلومة من قرى الجبل رآها رأى العين بل بالأحرى زوجته هى التى قتلها فقد كانت ممن سكن آخر القرية من ناحية الجبل بعد زواجها ، وانجبت أول مولود لها وأثناء تجوالها بين داخل البيت وخارجه لإحصاء وجمع دجاجاتها وأرانها وجدت فجأة فى مدخل البيت تلك الوحشة ، تقف بجانب المصطبة التى أنامت عليها وليدها ، فصرخت فيها منادية على زوجها فلم تتحرك السلعوة وما كان من الأم إلا أن أخذت الطرية – وهى أداة الزراعة الأساسية أكبر من القدوم ويدها أطول - والتى كانت منصوبة على باب البيت من الداخل وأهوت عليها بعدما هاجمتها قافزة عليها فلما أتى الآتون على صرخاتها وجدوها ممددة والدم يشخب من ذراعها وقدمها ، وعلى مقربة منها رأس السلعوة. فحملوها للوحدة الصحية وطلبت ولدها فوجدوه نائما فى سلام وأمان ووضعوه معها وحثهم الطبيب المقيم بسرعة نقلها لمستشفى البندر بعدما أجرى لها تطهيرا بسيطا بقدر ما لديه من إمكانيات ، لتلقى حقن مضادات نهش الحيوانات الضارية ولا تتوفر بالوحدة ، ثم تحلق آخرون حول

القتيلة ووضعوا رأسها بجوار جسدها ،فتبينوا أنها هجين ما بين الثعالب والكلاب والضباع ، فقدماها الأماميتان طويلتان والخلفيتان قصيرتان ،ينحدر ظهرها للخلف كهيئة الضباع وأما الوجه فهو بالتأكيد وجه كلب بلدى ،والذيل ذيل ثعلب ،وأخذ خيط الحديث آخر وأخبرهم أنها تكرر نزولها وظهورها في قرى الصعيد من بعد سيل ١٩٩٦ وقيل أنه تمت وقتها تجارب عسكرية أو فقدت في السيل مكونات عسكرية كيميائية ربما تكون السبب في ذلك ،ورفض الكثير هذا الإستنتاج وقرروا أنها أكيد لبؤة من إناث الضباع فهي الوحيدة التى تخون وتترك زوجها ليلقحها كلب بلدى أو ثعلب صحراوى ،وربما تحايلت على ذئب أصيل فحملت منه ،أما جمع الذئاب الحقيقية فهي أشرفهم إناثا وذكرورا ،وأمن الجميع على ذلك ،ومثلوها بحريم "....." وهنّ نساء لا يتورعن عن خيانة أزواجهن ذوى الحسب الأشرف. ولكنها الدنيا التى قد تأتى بوضيعة دنيئة تدعى نسبها الأعز لتبقى وسط ذوات النسب الشريف ،فتتلطخ أصولهم وتتبدل جيناتهم بمصاهرة أسافل الناس وتتكاثر أنسالهم فيدعون الحسب الشريف والنسب الأصيل فما إن تقررصهم الأيام وتدور عليهم الدنيا تظهر دناياهم ووضع أصلهم .

حصّاد القمح

أتى ذاك اليوم الذى لم يتوقعه أحد ، الفلاحون يذهبون للحقول ببدل رياضية متعطرين مسرحى الشعر ومدهونا ، وفى آذانهم سماعات الأغاني الصاخبة يخرجون من بعد بزوغ الشمس متأففين من سخوتها ، وهم الذين باتوا ليلتهم تحت أجهزة التكييف وتضيع الدقائق القليلة التى يقضونها فى الأرض الزراعية بالتصوير مع "كتّ القمح" ، والجرار الزراعى ، وهذه الحقول الفسيحة مرصوفة فيها أجران القمح ينتظر الحصد والدرس ، وإذا مرت سويغات وأتى الضحى تعبوا وأرهقوا وتمللوا من طول عملهم فى الحقل ويقرروا المغادرة للإستراحة تحت المكيفات ثم العودة آخر النهار ، رغم أن الآلات هى التى أصبحت تعمل فقد ظهرت حصّادة آلية لجمع القمح بديلا عنهم ، والدراسة أصبحت تدور بزر ، وسير توضع عليه كتات القمح فتأخذها واحدة واحدة كشنط السفر فى المطارات بل هناك المكيّنة التى تجمع كل الأعمال فى آن واحد تجمع وتحصد وتدرس وتملأ الأجوالة بالقمح ثم تخطيها .

وقد كانت بداية تلك الخيبة الزراعية من عام ٢٠٠٤ م عاد احد الشباب للأرض بعد انقطاع عنها لمدة سبعة أعوام منذ آخر مرة بسبب التعليم الثانوى والجامعى والتوظيف ، وكان أهله قد اعتادوا تأجير أجراء وأنفار للقيام بعزق وري وتجهيز أرضهم للزراعة ومتابعة المحصول وجمعه وحصاده حتى إدخاله مدروسا إلى حواصل البيت ، ولم يكن ذلك تنعما أو تكبرا وإنما من حاجة الأجراء للنقود وحبوب القمح والذرة التى يتركونها من أصحابها ، وكانت عائلة الشاب ذات أراضى متعددة وفى نفس الوقت كلهم أقارب وأنساب فلم يكونوا يشعرون بفوارق ، وإنما هى المزارعة والمشاركة ، أما فى ذلك العام فقد بدأت الريح الضارة تهب من دول الخليج فأولئك الأجراء السابقين وأبناءهم عادوا من بعد غزو العراق ، واتضحأنهم ألفوا الكسل وتعودوا العمل الهين ، بل ومد الأيدى والتسول بديلا عن العرق الشريف ، فقد

اشترطوا أخذ ثمن العمل مقدما فاعطوا عن جملة القراريط المطلوب حصيدها ودرسها ، وإذا بهم يصدرون لائحة لهم بأن ينتهى عملهم بعد الظهر مباشرة سواء أنجزوا المهمة أم لم تتم ، وإن زادت المدة ضوعفت لهم الأجرة فوافق مالك الأرض رغم اعتراض أبناءه جميعا ، مضطرا فقد فات ميعاد الحصد والدرس من شهر وخاف على المحصول من الفقد والضياع لقلة الأجراء الراغبين فى العمل فإنهم منعمين ببضعة ريالات ودينارات أتوا بها من سفرهم ، وبعدما أخذوا الأجر كله كاملا مقدما ، أتوا فى منتصف الليل معيدين المال ناقصا فقد صرف أحدهم نصيبه بعدما وزّعه عليهم كبيرهم واعداء برده بعد يومين ، ووقال كبيرهم أن السبب هو أن اتفاق المقاوله كان مع ستة أنفار ونقص واحد لعودة زوجته الغاضبة بالأمس وقد أصابه الإرهاق وهو الذى أخذ بعض المال وأعاد به المرأة .

ودق رنين الهاتف على ابن العائلة :

- اغشنا ماذا نفعل ، فالعمال المكريين أعادوا المال ورفضوا الحصاد ودراسة القمح لنقصهم واحدا ، وضرب كفا بكف فهؤلاء الأجراء وآباءهم منذ السنوات السبع السابقة كانوا يتناوبون طرق باب بيتهم صباحا ومساء طلبا للعمل فى أرضهم ، وإن لم يكن هناك ما تحتاجه الأرض تحايلا بتنظيفها من النجيلة أو الزمير ، وكان والده كجده لا يحرم أحدا ولا يمنعه طالما دق بابهم ، ولكنهم كانوا يأخذون أجرتهم آخر النهار التالى الذى كانوا يقضونه كاملا فى تنظيف الأرض ورعايتها منتظرين وجبة الغذاء التى يذهب بها إليهم بعدما ترك لديهم خبز الإفطار والبرّاد مع السكر والشاى والماء المثلج وكانوا يتلهفون على قطع الجبن القديمة مع البصل والطماطم وأحيانا الفلفل والجرجير بجانب الخياريا لها كانت من أيام - تذكرها بحنين وحسرة فقد كان يجلس معهم يساعدهم فى عملهم ويتسامر معهم ويأكل ويشرب وسطهم ، أما والآن فقد تكبروا على كل ذلك منذ جمعوا الريالات والدينارات والدرهم فى أيديهم فخطب محدثه :

- لا تفعلوا شيئاً فإتني نازل قبيل شروق الصبح ،وقد كان يسكن المدينة وابتعد عن القرية مع العودة إليها شهريا -ووجههم بإرسال وعيدا لصارف المال بإعادته ظهر الغد وإلا سيعاقب ،وقبيل الفجر آتاهم في الدار ذاك السادس مترجيا أنهم سيكملون المهمة وتنفيذ مقالة الحصيد والدراسة ،فلما بلغ الابن قوله رفض رفضا مشددا وما إن لاحت الشمس على البزوغ كان بالقرية ،حصد كل القراريط في يومين ثم درسها في رابع الأيام ،وهو الذي وقف على الدراسة ألقمها القمح ، وكان قد راق الأمر لصاحبها ظنا منه أنها ستعد الساعات وهي غالية التعريفة تلكم الأيام ،فيد ذاك الشاب باعتقاده ناعمة منذ طفولته ،ففوجيء بأنه انهي ربع الحصيد في عشر- دقائق فأوقف الجرار عن العمل بحجة أنه سيحرق ماتوره ويقطع سير الدراسة من السرعة الرهيبة التي يعمل بها وقوة العمل وكفاءة الخبرة التي ظهرت عليه ،وأصرّ على جلب فتاه الذي يلقم الدراسة بالقمح ليكمل العمل ،ولكن الشاب رفض وتمنع هو إلا أنهم اختاروا حلا وسطا ،أن يعمل بتؤدة وبطيء ،ووافق الشاب بلا وعد منه وكل فترة يزيد قوة عمله ، فيغضب صاحب الآلة ويهدد بإيقاف العمل ،حتى تراضوا وترك صبيه يكمل ،واعد له بعدم الإبطاء وإلا صعد مكانه وأنجز ،وجلس معهم يرتشف الشاي وترك الآخرين يتموا العمل .

وتحسر- على الأيام فقد كان الناس يعملون دائما حتى وإن كانوا من أكابر ملاكي الأرض ،فعار عليهم أن ييقوا بلا عمل ،أو أن يتحصلوا على مال من غير جد وعرق وتعب من اول نفس للنهار حتى آخر ومضة فيه عند الغروب ،ويا ليت لا يأتى ذاك اليوم الذي نترك العمل بالحقول لأجهزة الروبوت والميكنة الآلية الحديثة ويجلس الفلاحون ومالكوا الزراعات يترقعون بالمضغ ويتراقصون بأغاني ماجنة وساعات البلوتوث في آذانهم

،بدىلا عن شـدوهم وإنشادهم الذى اعتادوا على تريـدده وتألـيفه
بأفـواههم،ولكأننا نسمع الأرض والحقول تبكى وتأنّ وتحنّ وتنادى :

- اين زراعى أين باذروا البذور ،أين حصّاد القمح ؟ ومعها تتصايح الدور أين
الأجداد والآباء أين أعمدة الدور أين رجالى ؟
ألا ليت هذا اليوم لا يأتى .ويعود يوم آخر برجاله زارعى الأرض حصّاد القمح